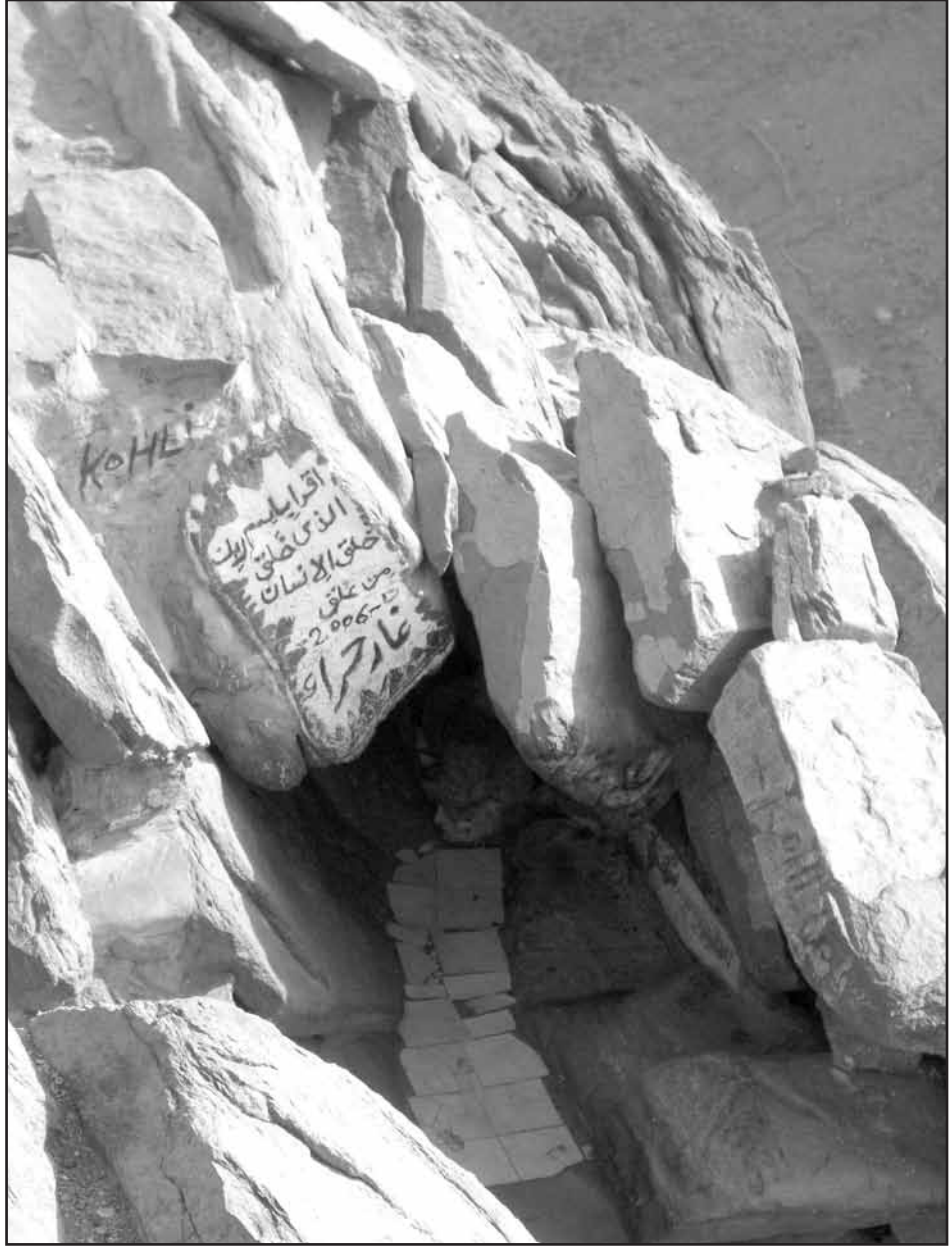

غار حرا وذكريات النبّي صلى الله عليه وآله فيه (١)

آية الله الشيخ جعفر السبحاني

يقع جبل النور في شمال شــرق المسجدالحرام في حَيٍّ سمّي باسمه، ويطلّ على طريق العــدل، وسمّي بجبل النور؛ لظهور أنوار النبــوة فيه، فقد كان النبيﷺ

يختلي بنفسه قبل البعثة في غار منه (و هو غار حراء) ليعبد الله تعالى، وفيه نزل الوحي عليه لأوّل مرة، ومنه أرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً.

يبلغ ارتفاع جبل النور إلى٦٤٢ متراً، ويصير انحدار الجبل شديداً من ارتفاع٣٨٠ متراً حتى يصل إلى ارتفاع٥٠٠ متر، وتبلغ مساحة الجبل خمسة كيلومترات و٢٥٠متراً مربعاً.

وقد ذكر الحموي أنّ الجبل يقع على مبعدة ثلاثة أميال من مكة المكرمة.[١]

وقال غيره على مبعدة نحو ميلين من مكة، وأما اليوم فقد اتسعت المدينة وانتهت قريباً من سفح الجبل.

وأما غار حراء فطوله أربعة أذرع، وعرضه ذراع و ثلاثة أرباع ذراع، من ذراع الحديد.[٢]

وكلّ من يعتمر أو يحج يغمره الشوق لزيارة مكان عبادة النبيﷺ قبل بعثته، ومحلّ إنطلاق دعوته المباركة، وهذا الغار يحمل في رحابه ذكريات كثيرة عن صاحبه الذي طالما تردد إليه، وقضى ساعات بل أياماً وأشهراً فيه... ذكريات يشتاق الناس ـ وحتى هذه الساعة ـ إلى سماعها من ذلك الغار، ولذلك تجدهم يسارعون إليه عندما يؤمّون تلك الديار المشرّفة، متحملين في هذا السبيل كل عناء؛ للوصول إلى رحابه، لكي يستنطقونه عما جرى فيه عند نزول الوحي، ويسألونه عما تحتفظ به ذاكرته من تاريخ رسول الإنسانية الأكبر، وعما جرت من حوادث في ذلك المكان المقدّس، غير أنّ في كتب السير والحديث حول نزول الوحي على النبيﷺ في ذلك المكان أموراً لايصدقها العقل ولا النقل، وإليك بيانها.

١ـ تغطية جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله

روى البخاري: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخلو بغار حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد في الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: إقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني فقال: إقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني، فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾.[٣]

وفي الرواية تأملات واضحة:

١. ما هو المبرر لجبرئيل عليه السلام أن يروّع النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وأن يؤذيه، فيعصره بشدة إلى حدٍّ يبلغ منه الجَهد؟ يفعل به ذلك وهو يراه عاجزاً عن القيام بما يأمره به، ولا يرحمه ولا يلين له.

٢. لماذا يفعل ذلك ثلاث مرات لا أكثر ولا أقل؟

٣. لماذا صدّقه في الثالثة، لا في المرة الأُولى ولا الثانية، مع أنه يعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لا يكذب؟

٤. هل السند الذي روى به البخاري قابل للاحتجاج مع أنّ فيه الزُهْري وعروة؟

أمّا الزُهْري فكان سلطانيّاً (كما قال يحيى بن معين)؛[٤] وقد أفسد نفسه بصحبة الملوك (كما قال مكحول)؛[٥] حيث عرف بمؤازرته لحكام الجور من بني أمية، وارتزاقه من موائدهم، وكان كاتباً لهشام بن عبدالملك، ومعلماً لأولاده، وقد جلس هو وعروة في مسجد المدينة، فنالا من علي عليه السلام فبلغ ذلك السجاد عليه السلام حتى وقف عليهما فقال: «أما أنت يا عُروة فإنّ أبي حاكم

أباك، فحُكم لأبي، على أبيك، وأمّا أنت يا زُهْري فلو كنت أنا وأنت بمكة لأريتك كنّ أبيك».[٦]

وأما عُروة بن الزبير، فحكم عليه ابن عمر بالنفاق، وعدّه الإسكافي من التابعين الذين يضعون أخباراً قبيحة في علي عليه السلام.[٧]

نعم رواه ابن هشام والطبري في تفسيره و تاريخه،[٨] بسند آخر ينتهي إلى أشخاص يستبعد سماعهم الحديث عن نفس الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، و دونك أسماءهم:

عبيد بن عمير، ترجمه ابن الأثير، قال: ذكر البخاري أنه رأى النبي، و ذكر مسلم أنه ولد على عهد النبي، وهو معدود من كبار التابعين يروي عن عمر وغيره.[٩]

عبدالله بن شدّاد، ترجمه ابن الأثير، وقال: ولد على عهد النبي صلى الله عليه وآله، روى عن أبيه وعن عمر وعلي عليه السلام.[١٠]

عائشة، زوجة النبي، حيث تفردت بنقل هذا الحديث، ومن المستبعد جداً أن لا يُحدّث النبي بهذا الحديث غيرها مع تلهف غيرها إلى سماع أمثال هذا الحديث.

نعم ورد مضمون الحديث في تفسير الإمام العسكري عليه السلام؛[١١] ونقله من أعلام الطائفة ابن شهر آشوب في مناقبه؛[١٢] والمجلسي في بحاره.[١٣]

لكن الكلام في صحة نسبة التفسير الموجود إلى الإمام العسكري عليه السلام وأما المناقب فإنه يورد الأحاديث والتواريخ مرسلة لا مسندة، والمجلسي، اعتمد على هذه المصادر، التي عرف حالها.

٢ـ شك النبي صلى الله عليه وآله في نبوته ورسالته

هناك أسطورة ثانية تعرب عن أنّ النبي صلى الله عليه وآله بعد أن بشّره جبرئيل عليه السلام بالنبوة، رجف فؤاده حتى أنه أراد أن يلقي نفسه من الجبل! إلى

غـير ذلك من أسـاطير التي حاكها مسلمة أهل الكتاب، وأدخلوها في كتب السـيرة، مع أنّ الأدلة النقلية والآيـات القرآنية دلت على صيانة الأنبيـاء عليهم السلام عن الخطإ والاشـتباه فى تلقي الوحـي أوّلاً، وضبطه في ذاكرتـه ثانياً، وإبلاغـه إلى الناس ثالثاً، وإنهم لايشكّون فيما يُلقى في روعهم من أنه نـداء رب العالمين، وأن مـا يبصرونه، هو رسـول إله العالمين، والكلام كلامه، لا يشكّون في ذلك طرفة عين، ولا يترددون بل يتلقونها بنفس مطمئنة.

هذا هـو القـرآن الكريم يذكر كيفيـة بـدء نـزول الوحـي على موسـى عليه السلام، وأنه تلقاه بلاتردد ولا تريّث، وقد ذكره في سور مختلفة.

يقول سبحانه: ﴿**فَلَمّا أتاها نُودِيَ يا مُوسـى* إِنِّي أنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْـوادِ الْمُقَدَّسِ طُـوىً* وَ أنَـا اخْتَرْتُكَ فَاسْـتَمِعْ لِمـا يُوحـى* إِنَّنِـي أنَـا اللّهُ لا إِلـهَ إِلاَّ أنَا فَاعْبُدْنِي وَ أقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي* إِنَّ السّـاعَةَ آتِيَـةٌ أكادُ أُخْفِيها لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْـعى* فَـلا يَصُدَّنَّكَ عَنْها مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهـا وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَتَرْدى* وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسـى* قالَ هِيَ عَصايَ أتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَ أهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَ لِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى* قالَ أَلْقِها يا مُوسـى* فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى* قالَ خُذْها وَ لا تَخَفْ سَـنُعِيدُها سِـيرَتَهَا الأُولى* وَ اضْمُـمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُـوءٍ آيَةً أُخْـرى* لِنُرِيَكَ مِـنْ آياتِنَا الْكُبْـرى* اذْهَبْ إِلى فِرْعَـوْنَ إِنَّهُ طَغى* قالَ رَبِّ اشْـرَحْ لِـي صَدْرِي* وَ يَسِّـرْ لِي أمْرِي* وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِـي* وَ اجْعَـلْ لِـي وَزِيراً مِـنْ أهْلِي* هارُونَ أخِي* اشْدُدْ بِهِ أزْرِي* وَ أشْرِكْهُ فِي أمْرِي* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً* وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً* إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً﴾.[١٤]

تـرى أنّ الكليم عندمـا فُوجئ بنزول الوحـي، تلقاه بصدر رحب، ولم يتردد في أنه وحيه سبحانه وأمره، ولذلك سأله سـبحانه أن يشرح له صدره، وييسِّر له أمره، ويَحلّ العقدة

التي في لسانه، ويجعل له وزيراً من أهله، يَشُدّ به أزره، ويُشركه في أمره.

يقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها وَ سُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ * يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.[١٥]

وجاءت هذه القصة في سورة القصص على وفق ما وردت في السورتين؛ ومن لاحظ الآيات يقف على أنّ موقف الأنبياء من الوحي هو موقف الإنسان المتيقن المطمئن، وهذه خاصة تعم جميع الأنبياء عليهم السلام.

نرى أنه سبحانه يذكر رؤية النبي الأكرم، ومواجهته لمعلّمه الذي وصفه القرآن ـ بـ ﴿شَدِيدِ الْقُوَى﴾.

ويقول: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى * وَ هُوَ بِالأُفُقِ الأعْلى* ثُمَّ دَنا فَتَدَلّى* فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى* فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى* ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى* أَفَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى﴾.[١٦]

فأي كلمة أصرح في وصف إيمان النبي وإذعانه في مجال الوحي ومواجهته الملك بعينه، من قوله سبحانه: ﴿ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى﴾ أي صدّق القلب عمل العين. ويحتمل أن يكون المراد، ما رآه الفؤاد.

قال السيّد الطباطبائي:

المراد بالفؤاد، فؤاد النبي صلى الله عليه وآله وضمير الفاعل في ﴿مَا رَأى﴾ راجع إلى الفؤاد، والرؤيا رؤيته، ولا بدع في نسبة الرؤية ـ وهي مشاهدة العيان ـ إلى الفؤاد، فإن للإنسان نوعاً من الإدراك الشهودي وراء الإدراك بإحدى الحواس الظاهرة، والتخيّل والتفكّر بالقوى الباطنة، كما أننا نشاهد من أنفسنا أننا نرى [ذاتنا] وليست هذه المشاهدة العيانية رؤية بالبصر، ولا معلوماً بالفكر، وكذا نرى من أنفسنا أننا نسمع ونشم ونذوق ونلمس، ونشاهد أننا نتخيّل ونتفكر، وليست هذه الرؤية ببصر أو بشيء

من الحواس الظاهرة أو الباطنة.[١٧]

فالله سبحانه يؤيد صدق النبي فيما يدّعيه من الوحي، ورؤية آيات الله الكبرى، سواء كانت بالعين أو بالفؤاد.

وعلى كلّ تقدير، فهذه الآيات وغيرها تدل على أنّ الأنبياء عليهم السلام وغيرهم لا يشكون ولاترددون فيما يواجهون من الأمور الغيبية.

وعلى ضوء ذلك تقف على أنّ ما ملأ كتب السيرة وبعض التفاسير في مجال بدءالوحي، ونزول الوحي عليه في غار حراء من أنّ النبيّ تردّد وشكّ عندما بُشّر بالنبوة، وشاهد ملك الوحي، وامتلأ روعاً وخوفاً، إلى حد حاول أن يلقي نفسه من شاهق، وعاد إلى البيت، فكلّم زوجته فيما واجهه، وعادت زوجته، تُسلّيه وتقنعه، بأنه رسول رب العالمين، وأنّ ما رآه ليس إلا أمراً حقّاً، كلّ ذلك أساطير وخرافات، قد دسّها الأحبار والرهبان، وسماسرة الحديث، والقصاصون في كتب القصص والسير والحديث، ونحن نكتفي في المقام بما ذكره البخاري في صحيحه وابن هشام في سيرته، فإنّ استقصاء كل ما ورد حول هذا الموضوع من الروايات المدسوسة، يدفع بنا إلى تأليف رسالة مفردة، ولكن فيما ذكرنا غنى وكفاية.

قال البخاري: بعد نزول أمين الوحي عليه في جبل حراء «فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وآله يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زمّلوني زمّلوني، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلاّ والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقتْ به خديجة»؛ حتى

أتت بـه ورقة بن نوفل بن أسـد بـن عبدالعـزّى ابن عـمّ خديجة، وكان امرءاً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتـاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شـيخاً كبيراً قد عمي؛ فقالـت له خديجة: يـا ابن عمّ اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول اللهﷺ خبرمـا رأى، فقـال له ورقـة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعاً ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك، فقال رسـول اللهﷺ: أو مخرجـيّ هم؟ قال: نعـم، لم يأتِ رجـل قط بمثل مـا جئت به إلاّ عودي، وإن يدركني يومك، أنصرك نصـراً مؤزّراً، ثم لم ينشب،[١٨] ورقة أن توفي وفتر الوحي.[١٩]

هـذا ما لـدى البخـاري، وأما صاحب السيرة النبوية فبعد ما ذكر مسألة الغتّ ينقل عن النبيﷺ أنه قـال: «فخرجت حتـى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد، أنت رسـول الله وأنا جبرئيل، قال: فوقفت أنظر إليه، فما أتقدم وما أتأخـر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، قال: فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفاً، ما أتقدم أمامي، وما أرجـع ورائي، حتـى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا على

مكة ورجعوا إليهـا، وأنا واقف في مكانـي ذلـك، ثم انصـرف عنّي، وانصرفـت راجعـاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة، فجلسـت إلى فخذها مضيفاً [أي ملتصقاً] إليها، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسـلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي، ثم حدثتها بالذي رأيـت، فقالـت: أبشر يا ابن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إنّي لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأُمة».

ثم يذكر انطلاق خديجة إلى ورقة بن نوفل، وما أجابها به ورقة بنفس النص الذي ذكره البخاري، ثم يذكر لقاء النـبي صلى الله عليه وآله ورقة بن نوفل، وهو يطوف بالكعبة، فسأله ورقة بما رأى وسمع؛ فأخبره النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له ورقة: والذي نفسـي بيـده إنّك لنبي هذه الأمّة.

ثم عقبه بذكر ما قامت به خديجة من امتحان صـدق نبوته، فذكر أنها قالـت لرسـول الله صلى الله عليه وآله: أي ابن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا

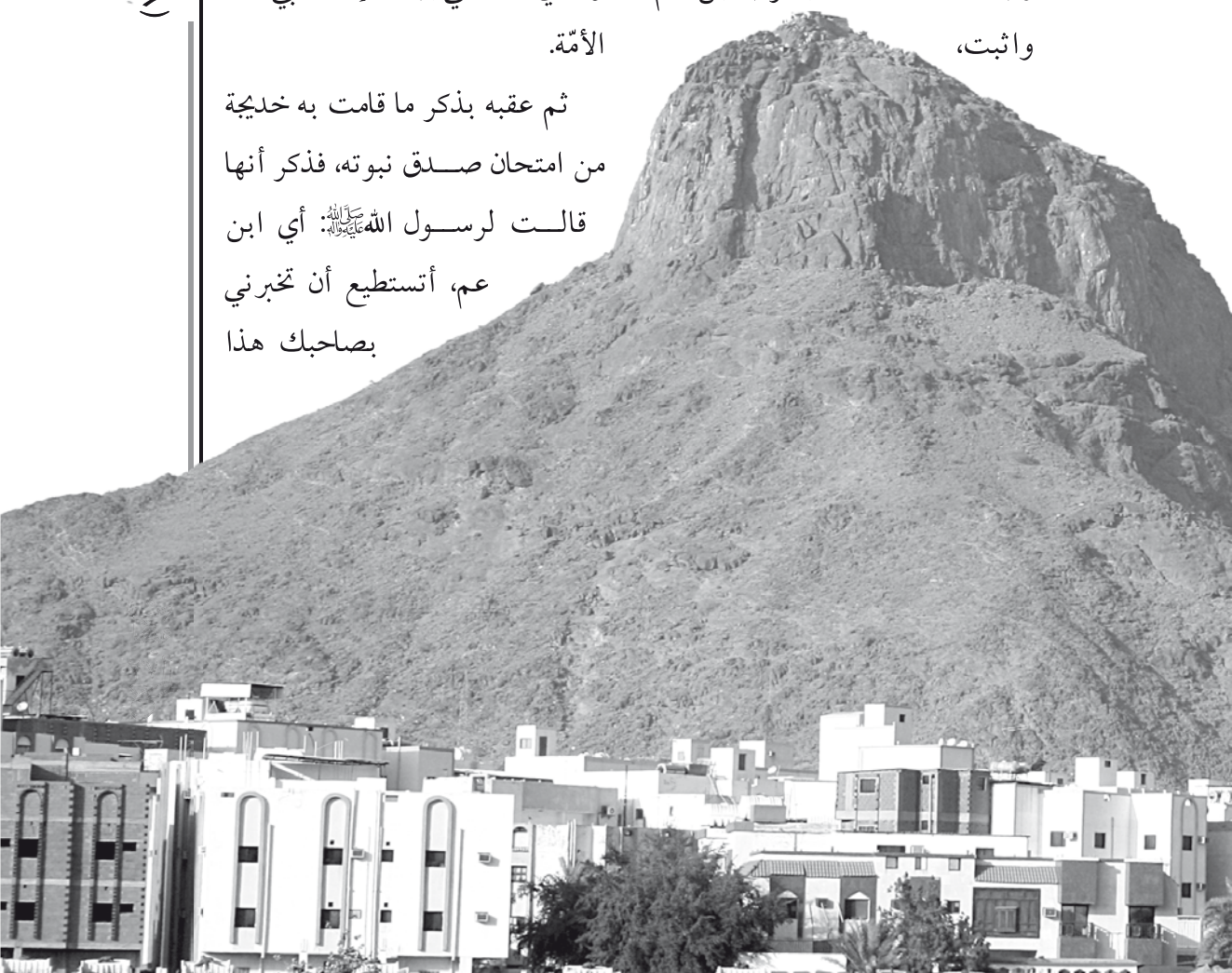

إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبرئيل فقال رسول الله ﷺ لخديجة: هذا جبرئيل قدجاءني، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، قال: فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوَّلْ فاجلسْ على فخذي اليمنى، فجلس على فخذها اليمنى فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوَّلْ واجلس في حجري، فتحول فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم. فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله جالس في حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا.

قالت: يا ابن عم اثبت و أبشر، فوالله هذا ملك وما هذا بشيطان.[٢٠]

ونقل الطبري عن النبي ﷺ أنه عند ما نزل جبرئيل وقال: يا محمد أنت رسول الله، أنّه قال: لقد هممتُ أن أطرح نفسي من حالق من جبل فتبدّى لي حين هممت بذلك، فقال: يا محمد أنا جبرئيل وأنت رسول الله، ثم قال: إقرأ، قلت: ما أقرأ؟ قال: فأخذني فغتني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد، ثم قال: إقرأ باسم ربّك الذي خلق، فقرأت فأتيت خديجة فقلت: لقد أشفقت على نفسي، فأخبرتها خبري فقالت: أبشر فوالله لايخزيك الله أبداً، و والله إنّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكَلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل بن أسد، فقالت: إسمع من ابن أخيك، فسألني فأخبرته خبري، فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران... .[٢١]

نظرة تحليلية حول هذه النصوص:

إنّ هذه النصوص التاريخية

التي نقلها المشـــايخ كالبخاري وابن هشـــام والطبري، وتلقاها الآخرون من بعدهم، على أنها حادثة متســـالم عليها، تضاد ما يستشفه الإنسان من التدبر في حالات الأنبياء في القرآن الكريم، وتناقـــض البديهة العقلية، وإليـــك بيـــان مـــا فيها مـــن نقاط الضعف، وعلائم الجعل والتهافت:

إنّ النبـــوة كمـــا ثبـــت في محلّه، منصب إلهـــي لا يفيضه الله إلاّ على من امتلك زخماً هائلاً من القدرات الروحية، والقوى النفســـية العالية حتـــى يقـــوى على معاينـــة الوحي، ومشاهدة الملائكة، فعندئذ فلا معنى لما ذكره البخاري: «لقد خشيت على نفســـي» أ فيمكـــن أن ينزل الوحي الإلهـــي علىمن لا يفـــرق بين لقاء الملـــك، ولقاء الجـــن ومكالمته حتى يخشى على نفسه الجنون أو الموت؟

وأســـوأ منه ما ذكره الطبري من أنه صلى الله عليه وآله همّ أن يرمي بنفسه من شاهق من جبل، فندم عليه ورجع عنه حين سمع كلام جبرئيل، يقول له: يا محمد أنا جبرئيل.

إنّ هـــذا الكلام يعـــرب عن أنّ نفســـه صلى الله عليه وآله لم تكن مستعدة لتحمل الوحي إلى درجة، همّ أن يقتل نفسه بالإلقـــاء من حالـــق، و هل هذا هو إلاّ نفس الجنون الذي كان المشركون يصفونه به طيلـــة بعثته؟ فوا عجباً مانســـمعه مـــن أعوانـــه وأنصاره، وأخيراً من لسان زوجته!

إنّ قول خديجة لرســـول الله صلى الله عليه وآله: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً» يعرب عـــن أنها كانت أوثـــق إيماناً بنبوته من نفس الرسول، فهل يمكن التفوّه بذلك؟ ومـــا حاجة النـــبي الأعظم الذي قال تعالى في حقّـــه: ﴿**وَعَلَّمَكَ مـــا لَمْ تَكُنْ تَعْلَـــمُ وَكانَ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾.[٢٢] إلى هذا التسلّي؟

ذكر البخاري أنّ خديجة انطلقت مع رســـول الله صلى الله عليه وآله إلى ورقة، فأخبره

رسـول الله بما وقع، فأجاب ورقة بما ذكره، وإنّ ما نزل عليه هو الناموس الذي نزّل الله على موسى.

إنّ معنى هذا أن يكون ورقة أعلم بالسرّ المودع في قلب رسول الله من نفسـه، كما أنّ معنـى ذلك أنّ كلاً من الزوجين كانا شـاكّين في صحة الرسـالة، فانطلقـا إلى متنصّر قرأ وريقات من العهدين حتى يستفتياه؛ ليزيل عنهما حجاب الشكّ و غشاوة الريب!!

إنّ معنى ما ذكره البخاري من أنّ ورقة أخبر النبيﷺ بأنه سيخرجك قومك، فتعجب الرسـول من هذا الكلام وقـال: أو مخرجيّ هم؟ كون المرسـل إليـه أعلم من الرسـول وأفضل منه!

إنّ مـا ذكره ابن هشـام من (أنّ الرسـولﷺ كلما رفع رأسـه إلى السماء لينظر، ما رأى إلا رجلاً صافاً قدميه في أفق السـماء، فلاينظر في ناحية من السماء إلا رآه فيها) يشبه كلام المصابين في عقولهم وشعورهم، والمتخلّفين في أفكارهـم، فلايرون في كل جهـة إلا الصـورة المتخيلة، لطغيانها على مخيلتهم وشـعورهم. أعاذنا الله من نسبة الشنائع إلى مقام النبوة بنحوٍ لا يليق بساحة العاديين من النـاس، فضلاً عن النبي الأكرم خاتم النبيينﷺ.

أنظـر إلى امتحان خديجة لبرهان النبوة، فإنّ ظاهرها أنها كانت شاكّة في نبوة زوجها، ولكنها استحصلت اليقين على الوجـه الذي سمعته في كلام ابن هشام والطبري، ولكن أي صلة بـين رفع الخمار وإلقائه وعدم رؤيـة جبرئيل؟ وهـل لرفع الخمار وتعرية شـعر الرأس تأثير في غياب أمين الوحي عن البيت؟

تـرى أنه سـبحانه ينقل في غير سورة من سور القرآن الكريم محادثة الملائكـة زوجة الخليل وتبشـيرها

بالولد، فهل يمكن لنا أن نقول بعد ذلك: إنّ زوجة الخليل لو كانت مكشوفة الرأس؛ لامتنعت الملائكة من دخول بيت الخليل عليه السلام؟!

إنّ ورقة بن نوفل على حدّ تصريح نص الرواية كان أول أمره نصرانياً، بعد ما كان مشركاً، فمقتضى الحال أنْ يشبه الرّسول الأعظم بالمسيح الذي كان يعتقد بنبوته، لا بالكليم، أو ليس هذا يعرب عن لعب يد الأحبار في الخفاء في اصطناع هذه الأحاديث، و دورهم في تشويش صفاء رسالة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بأمثال هذه الأساطير، والمهاترات، والخرافات؟

نحن على ثقة ويقين بأنّ النبوة منصب إلهي لا يتحمله إلاّ الأمثل والأكمل فالأكمل من الناس، ولا يقوم بأعباء مهماتها إلاّ من امتلك قدرة روحية خاصة تبعث في نفسه الإذعان، والتسليم، والانقياد، حينما يتمثل له رسول ربه وأمين وحيه، فلا يأخذه الهلع، ولايستولي عليه الخوف، عند سماع كلامه و وحيه، وقد درسنا وضع الكليم عندما فوجئ بالوحي، فما حاق به الروع ولا أحاط به الخوف، ولا همّ بإلقاء نفسه... إلى غير ذلك مما ورد في هذه الروايات.

و بما أنّ القرآن هو المرجع الفصل في تمييز الصحيح من الزائف في جملة هذه الروايات، فهذا يحتم علينا الصفح عنها وضربها عرض الجدار، مضافاً إلى ما فيها من التناقض والاختلاف في حكاية القصة، كما هو معلوم لمن تدبر فيها وتأمل نصها.

٣ـ فتور الوحي و انقطاعه:

وفي المقام أسطورة ثالثة يعبّر عنها في كتب السيرة والتفسير بانقطاع الوحي وفتوره، نستعرضها في العدد القادم بإذن الله سبحانه.

الهوامش:

١ . معجم البلدان ٢: ٢٣٣.
٢ . الرحيق المختوم : ٥٥.
٣ . صحيح البخـاري١: ٣، وللحديث تتمة نأتي بها عن قريب.
٤ . تهذيب الكمال٢٦ :٤٤٢ ـ ٤٤٣، الترجمة ٦٠٦.
٥ . أنظر: سير أعلام النبلاء٥ :٣٣٩، الترجمه ١٦٠.
٦ . أي بيت أبيك.
٧ . الصحيح من سيرة النبي الأعظمﷺ ١ :٢٢٣.
٨ . السيرة النبوية١: ٢٠٠؛ تفسير الطبري٣ :١٦٢؛ تاريخ الطبري ٣: ٣٥٣.
٩ . أسد الغابة ٣ : ٣٦٣.
١٠ . أسد الغابة٤ :١٨٣.
١١ . بحارالأنوار١٨: ١٩٦.
١٢ . المناقب١:٦٤٠.
١٣ . بحارالأنوار ١٨: ١٩٦.
١٤ . سورة طه : ١١ـ ٣٥.
١٥ . سورة النمل: ٨ ـ ٩.
١٦ . سورة النجم: ٤ـ ١٢.
١٧ . تفسير الميزان١٩: ٣٠.
١٨ . لم يلبث.
١٩ . صحيح البخاري ١ : ٣.
٢٠ . السيرة النبوية: ٢٢٧ـ ٢٣٩.
٢١ . تاريخ الطبري ٢ : ٤٩ـ٥٠.
٢٢ . سورة النساء: ١١٣.
٢٣ . لاحظ: سورة هود: ٧١ ـ ٧٣؛ سورة الذاريات: ٢٩.